أحـلام الفـاني

عادل عزت

افتتاحية

فَتَاةٌ بِحُلْمٍ تَمَنَّيْتُ أَلَّا تَفِرَّ
بَعِيدًا فَأَخْبَرَنِي واهِبُ النَّوْمِ « سَوْفَ
تَرَاهَا بِحُلْمٍ جَدِيدْ » .

إِذَا مَا أَتَاكَ شَذى كَالْغَمَامِ
الشَّفِيفِ فَأَنْتَ بِبَغْدَادَ حَيْثُ
الْأَغَانِي قَدِ اسْتَحْضَرَتْ نَشَوَاتِ
مِئَاتٍ مِنَ الشُّعَرَاءْ .

أَطِعْنِي فَإِنِّي اصْطَفَيْتُكَ دُونَ
سِوَاكَ لِتَحْيَا وَلَوْ لِشُهُورٍ خِلَالَ
الْحَيَاةِ القَدِيمَهْ .

هُنَالِكَ أَزْمِنَةٌ مُتَدَاخِلَةٌ ، وَبِهَا
سَتَرَى كُلَّ شَيءٍ بِتِلْكَ اللَّيَالِي
الَّتِي فَتَنَتْنَا بِهَا شَهْرَزَادْ .

حِكَايَاتُهَا قَدْ سَرَتْ فَتَشَابَكَ
يَوْمٌ بِيَوْمٍ ، وَعَامٌ بِعَامْ .

مِـنَ الـظُّـلْـمِ أَنَّ الـجَـمِـيـلَـةَ كَـانَـتْ
تُـحَـاوِلُ إِرْضَـاءَ ذَاكَ الْـغَـشُـومِ
الْـغَـضُـوبْ .

تَـقَـدَّمَ بُـنِـيَّ ... خَـيـالِـي يَـرَاكَ خِـلالَ
الحِـكَـايَـاتِ تَـسْـرِي بِـلا جَـسَـدٍ ...
رُبَّـمَـا لُـحْـتَ طَـيـفًـا وَأَنْـتَ تَـمُـرُّ بِـنَـاسٍ
قَـدِ الْـتَـجـأَتْ لِـلـسُّـفـوحِ الـعَـمِيقَـهْ .

سَـأَرعَـاكَ عَـبـرَ احـتِـدامِ المَـقَـادِيـرِ
فَـالـبَـحْـرُ مَـكْـرٌ يُـؤَدِّي إِلَـى
جُـزُرٍ تَـتَـمَـازَجُ فِـيـهَـا العَـفَـارِيـتُ
بِـالـكَـائِـنَـاتْ .

وَأَمَّـا الـنِّـسَـاءُ فَـهُـنَّ مُـجُـونٌ وَسِـحْـرٌ،
وَأَنْـتَ عَـلِـيـمٌ بِـأَنَّ جُـنُـونَ الـرِّجَـالِ
بِـهِـنَّ يُـبِـيـحُ الـخَـطِـيئَـهْ .

سَـأَرعَـاكَ ... إِنِّـي أَنَـا واهِـبُ الـنَّـومِ
لَـسْـتُ أَنَـامْ .

وَلا .. لا تَخَفْ مِن هَلاكٍ يَلُوحُ
بِتِلكَ الحِكاياتِ ... كَم مِن مُلوكٍ
قَدِ ابتَعَدوا عَن حِمَاهُم، وَصاروا
حَيارى يَهيمونَ فِي الطُّرُقاتْ .

وَكَم مِن أُناسٍ مُعَذَّبَةٍ أَثقَلَتها
الحَياةُ فَبَاحَتْ بِأَحوالِها ...
يالَهُ مِن رَحِيلٍ جَدِيرٍ بِنَفسِكَ
يا خائِضًا فِي الحَضاراتِ حَيثُ
النَّعيمُ تَغَلغَلَ فِيهِ الجَحِيمْ .

حُروبٌ تُؤَدِّي إِلى عالَمٍ مِن أَسى ،
وَالأَسَى مَسَّ بَعضَ القُلوبِ الَّتي
أَنشَأَت ما يُحِيطُ بِنَا مِن مَعَانٍ
عَظِيمَهْ .

إِذا ما تَحَمَّلتَ ذَاكَ الرَّحِيلَ رَجَعتَ
وَقَد جَلَّلَتكَ مِئَاتُ السِّنِينْ .»

فَقُلتُ: لَقَد أَثقَلَتنِي المَعَارِفُ
وَهْيَ سُطُورٌ وَنَاسٌ تَبَاعَدْتُ عَنهُم
فَما عُدتُ أَقدِرُ أَن أَستَعِيدَ حَيَاةَ
القُدَامَى طُقُوسًا، وَشِعرًا، وَجِنًّا،
وَأَفئِدَةً سَكَنَتها الخُرَافَهْ .

تَبَاعَدتُ عَن كُلِّ شَيءٍ فَصَارَت
تُلاحِقُنِي الذِّكرَيَاتْ.

هُنَاكَ ظَلامٌ إِذا مَا أَحَسَّ اقتِرابيَ
مِنهُ أَضاءَ شُموعًا فَأَربَكَنِي
الضَّوءُ مُختَلِطًا بِالظَّلامْ .

شُموعٌ إِذا انطَفَأَت صِرتُ مُستَقبِلًا
دَفَقَاتٍ مِنَ الغَيبِ تَدْفَعُنِي لِلرَّحِيلِ
مَعَ الكَلِمَاتْ .

فَيَا واهِبَ النَّومِ لَستَ إِلَهًا،
وَلَستَ وُجُودًا ... لَعَلَّكَ رُؤيَا ...
لَعَلَّكَ وَهمٌ تَسَلَّلَ فِي عُزلَتِي،
وَأَتَانِي بِبَعضِ الوُعُودْ .

سَأَزعُمُ أَنَّكَ تُمسِي إِلَهًا إِذا
مَا حُضُورُكَ أَنقَذَنِي مِن
مَشَاعِرَ حَالِكَةٍ قَد تُعَاوِدُنِي
وَأَنَا مَاكِثٌ فِي السُّهَادْ .

مصابيح تبدو قريبة

تَقَدَّمْتُ نَحْوَ مَغِيبٍ ، وَمَا
إِنْ تَرَاءَى مَكَانًا تَمَادَيْتُ
فِيهِ ... سَمِعْتُ عَلَى الْبُعْدِ لَيْلًا
يُسَايِرُ نَهْرًا ، وَحَوْلِيَ صَفْوٌ
يُبَشِّرُنِي أَنَّنِي لَنْ أَضِلَّ بِهَذِي
المَسَافَهْ .

وَجَدْتُ أَمَامِي نَخِيلًا، فَأَخْبَرَنِي
الْبَدْرُ أَنَّ النَّخِيلَ مَشَاعِرُ
غَامِضَةٌ ، وَالْمَحَبَّةُ تَسْرِي
خِلَالَ خُشُونَتِهِ، وَلَدَيْهِ تَمَهَّلَتِ
السَّنَوَاتْ .

وَهَا نَخْلَةٌ قَدْ أَحَبَّتْ مُرُورِي بِهَا .
صَارَ قَلْبِيَ يَسْمَعُهَا : « إِنَّنِي
كُنْتُ يَوْمًا فَتَاةً، وَصِرْتُ هُنَا
مُتَحَرِّرَةً ... أَنْتَ ... أَنْتَ تُرِيدُ
مُصَادَقَتِي فَتَعَالَ وَكُنْ نَخْلَةً
ذَكَرًا . إِنَّهَا جَنَّةٌ مِنْ طُمَأْنِينَةٍ
أَنْ تُحِيطَ بِكَ الصَّحَرَاءْ .

تَعَالَ وَكُنْ مِنْ مَكَانِي قَرِيبًا .
خَلَايَاكَ سَوْفَ تَرَانِي مُرَحِّبَةً
بِنَسِيمِ السُّهُولْ » .

فَقُلْتُ لَهَا : لَنْ أُحِبَّكِ حَتَّى تَعُودِي فَتَاةً . أَنَا شَاعِرٌ ، وَالْحَيَاةُ تَصِيرُ مُقَدَّسَةً إِنْ رَحَلْنَا مَعًا فِي قَصِيدَهْ .

سَنَمْضِي خِلَالَ انْسِيَابِ التَّفَاعِيلِ . إِنَّ الْوُجُودَ مَهِيبٌ بِهَا ، وَالدَّقَائِقُ يَوْمٌ يُحَاوِلُ أَلَّا يَزُولْ .

وَهَا قَدْ تَرَكْتُ النَّخِيلَ وَرَائِي ، وَبَعْدَ ثَوَانٍ شَعَرْتُ بِهَا وَهْيَ تَنْسَابُ عَبْرَ انْسِيَابِي ... هَمَسَتُ : أَرَاكِ ، وَلَسْتُ أَرَاكِ ، وَنَحْنُ حَبِيبَانِ تَحْتَ احْتِشَادِ السَّمَاءْ .

فَقَالَتْ : « لَعَلَّكَ أَحْسَسْتَ أَنِّيَ سَمْرَاءُ مِنْ فَرْطِ خَوْضِي خِلَالَ اللَّيَالِي الَّتِي جَعَلَتْنِي جَمِيلَهْ .

أُصْـــدِّقُ مَـــنْ قَـــالَ إِنَّ الـــسَّـمَـــاوَاتِ
مَـحْـــضُ اسْـــوِدَادٍ رَهِـيـــبٍ ، وَلَـيْـــسَ
الـضِّـيَـــاءُ بِـهَـــا غَـيْـــرَ ضَـيْـفٍ
يُـعَـانِـي الـوُجُـودْ .

أَنَـا بِـنْـتُ ذَاكَ الـخَـفَـاءْ .

أَنَـا الـلَّـحَـظَـاتُ الـقَـلِـيـلَـهْ » .

وَهَـــا هِـــيَ تَـشْـعُـرُ أَنِّـــي خَـجُـولٌ فَـلَـمْ
نَـتَـلَامَـسْ ... أَكُـنْـتُ خَـجُـولًا أَمِ الـقَـلْـبُ
يَسْتَعْجِلُ اللَّحَظَاتِ الـقَلِيلَهْ ؟!

مَـضَـــتْ حَـيْـرَتِـــي تَـتَـقَـــرَّبُ مِـــنْ
جِـسْـمِـهَـــا، وَهْـــيَ تُـــرْسِـــلُ دِفْـئًـــا
لِـجِـسْـمِـي ، فَـقَـالَـتْ : « سَـتَـعْـشَـقُـنِـي
إِنْ وَصَـلْـنَـا إِلَـى آخِـرِ الـعَـتَـمـاتْ » .

فَـصَـدَّقْـتُـهَـا ، وَتَـسَـاءَلْـتُ : أَيْـنَ الـسَّـبِـيـلُ
إِلَـى آخِـرِ الـعَـتَـمـاتْ ؟!

فَـقَـالَـتْ : «أَلَـسْـتَ الَّـذِي كُـلَّـمَـا هَـامَ
عَـبْـــرَ الْـمَـسَـافَـاتِ عَـــادَ شَـبَـابًـا ...
أَلَـسْـتَ الَّـذِي غَـابَ عَـنْـهُ الـفَـنَـاءْ ؟»

فَأَحْسَسْتُهَا وَهْيَ تَزْدَادُ سِحْرًا، وَمَا زَالَ قَلْبِي يُصَدِّقُهَا، غَيْرَ أَنَّ المَعَانِيَ قَدْ بَطَّأَتْ خُطُوَاتِي ، فَحَذَّرَنِي الشِّعْرُ « إِنَّ التَّفَاعِيلَ تَذْهَبُ نَحْوَ النِّهَايَهْ ».

تَرَاءَى الْمَكَانُ الَّذِي حَوْلَنَا لَا يُؤَدِّي لِشَيءٍ ، فَبُحْتُ لَهَا : إِنَّ عُمْرِيَ مِنْ عَبَثٍ . إِنَّهُ عَشَرَاتُ السِّنِينَ مِنَ السَّيْرِ نَحْوَ مَصَابِيحَ تَبْدُو قَرِيبَهْ .

فَقَالَ لِي الْحُلْمُ وَهُوَ يُفَارِقُنِي : « إِنَّنِي ذَاهِبٌ لِلْهَبَاءْ » .

أَفَقْتُ مِنَ النَّوْمِ وَهْيَ مَعِي، غَيْرَ أَنَّ الظَّلَامَ تَكَاثَفَ حَتَّى يُخَبِّئَهَا. هَلْ سَمِعْتُ تَنَفُّسَهَا وَالظَّلَامُ يُخَبِّئُهَا أَمْ تُرَاهَا أَتَتْنِيَ مِنْ ذِكْرَيَاتِي ؟! تَذَكَّرْتُهَا فَتَلَاشَتْ بِنُورِ اللَّيَالِي، وَمَا زِلْتُ أُغْمِضُ عَيْنَيَّ ... لَسْتُ أُرِيدُ الإِفَاقَهْ .

بَـقَـايَـا الـنُّـعَـاسِ تُـوَسْـوِسُ لِـي : إِنَّـهَـا الْآنَ قَـدْ رَجَـعَـتْ نَـخْـلَـةً فَـإِذَا مَـا أَرَدْتَ اسْـتِـعَـادَتَـهَـا عُـدْ إِلَـى الـصَّـحَـرَاءْ .

وَهَـا هِـيَ نَـفْـسِـي تُـحَـاوِلُ أَنْ تَـسْـتَـعِـيدَ الـتَّـفَـاعِـيـلَ ، مَـا وَجَـدَتْ غَـيْـرَ فَـوْضَـى مِـنَ الْـكَـلِـمَـاتِ الْقَلِيلَهْ .

تَـسَـاءَلَ قَـلْـبِـيَ فِـي لَـهْـفَـةٍ : أَيْـنَ ... أَيْـنَ اخْـتَـفَـتْ بَـعْـضُ أَبْـيَـاتِ تِـلْـكَ الْـقَـصِـيـدَهْ ؟!

الخُطُوات الأخيرة

تَسَلَّلْتُ بَيْنَ المَمَرَّاتِ مُنْتَشِيًا
بِالمَسَافَاتِ مُسْتَرْسِلًا فِي اخْتِفَائِي
، وَحَدْسِي يُبَشِّرُنِي أَنَّنِي أَتَقَدَّمُ نَحْوَ
حَيَاةٍ جَدِيدَهْ .

وَهَا لَوْحَةٌ عَرْضُهَا لَسْتُ أَدْرِي
مَدَاهُ قَدِ امْتَلَأَتْ بِالْوُرُودْ .

مَشَيْتُ بِهَا فَرَأَيْتُ هُنَالِكَ بَيْنَ
الشُّجَيْرَاتِ تِمْثَالَ أُنْثَى مِنَ
الشَّرْقِ ... ثَمَّةَ هَمْسٌ يُوَسْوِسُ لِي
هِيَ مَسْحُورَةٌ فَنَظَرْتُ إِلَى وَجْهِهَا .
إِنَّ فِيهِ ابْتِسَامًا خَفِيًّا وَفِيهِ
غُمُوضْ .

وَمَا إِنْ تَقَدَّمْتُ مِنْهَا لَأَلْمِسَهَا
ضَاعَ مِنِّيَ شَيْءٌ مِنَ الرُّوحِ ،
وَانْسَابَ رُوحًا تَبُثُّ الحَيَاةَ بِتِلْكَ
الحِجَارَهْ .

تَعَجَّبْتُ مِنْ أَنَّ قَلْبِيَ لَمْ يَتَعَجَّبْ مِنَ النَّبَضَاتِ الَّتِي قَدْ سَرَتْ فِي الحِجَارَهْ .

تَأَمَّلْتُهَا وَأَنَا حَائِرٌ ثُمَّ هَا هِيَ تَنْسَابُ نَحْوِي . لَقَدْ كُنْتُ مُنْبَهِرًا بِالَّذِي شَعَّ مِنْ جِسْمِهَا . إِنَّ نَظْرَتَهَا تَتَبَاهَى بِشَوْقِي الَّذِي مَسَّهَا ... آهِ قَدْ أَدْرَكْتُ مَا بِنَفْسِيَ مِنْ رَغَبَاتٍ دَفِينَهْ .

فَسَاءَلْتُهَا كَيْفَ جِئْتِ إِلَيَّ فَقَالَتْ: « أَنَا قَدْ هَرَبْتُ مِنَ الْمَعْبَدِ الْمُسْتَبِدِّ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ جَمَادًا، وَهَا إِنَّنِي الْآنَ أَشْعُرُ أَنَّ النَّسَائِمَ تَأْتِي لِجِسْمِيَ عَابِثَةً بَعْدَ أَنْ عَبَرَتْ بِالْوُرُودْ.

شَعَرْتُ هُنَاكَ بِأَنِّيَ مَظْلُومَةٌ فَالنِّسَاءُ التَّمَاثِيلُ فِي كُلِّ رُكْنٍ مُضَاءٍ ، وَإِنِّيَ أَجْمَلُهُنَّ فَكَيْفَ إِذًا وَضَعُونِيَ بَيْنَ مَشَاعِلَ تُسْرِعُ نَحْوَ الذُّبُولْ ؟!

لَقَدْ كُنْتُ فِي مَعْبَدٍ لَيْسَ فِيهِ
سِوَى هَمْهَمَاتِ الْخُشُوعِ ، وَفَيْضٍ
مِنَ النَّظَرَاتِ الْحَزِينَهْ .

تَمَنَّيْتُ لَوْ كَانَ جِسْمِيَ مُنْتَمِيًا
لِمَعَابِدَ أُخْرَى ... مَعَابِدَ مُسْرِفَةٍ فِي
الْمُجُونِ كَأَنَّ بِهَا صَخَبًا وَغِنَاءْ .

يَرَى زائروهَا التَّمَاثِيلَ فِي حَالَةٍ
مِنْ جِمَاعٍ صَرِيحٍ ... لَعَلَّ الَّذِي
قَدْ بَنَاهَا رَأَى أَنَّ مَنْ يَكْتُمُ
الشَّهَوَاتِ سَفِيهٌ ، وَأَنَّ خَلَاصَ النُّفُوسِ
يَكُونُ بِإِسْرَافِهَا فِي المَلَذَّاتِ ، وَالعِشْقِ
سِرًّا وَجَهْرًا ، وَأَمَّا الَّذِي رَاحَ يَنَعَمُ
بِالزُّهْدِ فِي ثِقَةٍ فَهَنِيئًا لَهُ
مَا بِهِ مِنْ حَمَاقَهْ » .

كَأَنِّـيَ أَحْبَبْتُهَا ثُمَّ لَمَّا شَعَرْتُ
بِبَعْضِ الهَوَاجِسِ تَأْتِي لِجِسْمِي
تَوَسَّلْتُ لِلْحُلْمِ لَسْتُ أُرِيدُ رُجُوعًا
فَدَعْنِي أَعِشْ هَا هُنَا. إِنَّ تِلْكَ
الشُّجَيْرَاتِ قَدْ وَعَدَتْنِي بِأَنِّيَ إِنْ
سِرْتُ عَامًا وَجَدْتُ نُهِيرًا، وَبَيْتًا
تَخَفَّى وَرَاءَ خَمِيلَهْ .

تَقَدَّمْتُ حُرًّا فَأَحْسَسْتُ أَنَّ الحَيَاةَ
تُهَاجِرُ نَحْوَ حَيَاةٍ خَلَتْ مِنْ وُجُودِ
اللِّئَامْ.

تَقَدَّمْتُ حُرًّا أَسِيرًا لَدَى لَوْحَةٍ
مَا لَهَا مِنْ نِهَايَهْ .

وَهَا هِيَ تُمْسِكُنِي مِنْ ذِرَاعِي ،
وَتَخْطُو مَعِي ... آهِ صَارَ وُجُودِي
وُرُودًا، وَصَمْتًا، وَأُنْثَى جَمِيلَهْ .

المُستجير بالماء

نَـظَـرْتُ بِـقَـاعِ الـمُـحِـيطْ .

رَأَيْـتُ جَـمَـاجِـمَ أَصْـحَـابُـهَـا فِـي شُـرُودٍ
مُـخِـيفٍ أَعَـادُوا خَـيَـالِـي لِـبَـدْءِ الـخَـلِـيقَـهْ .

فَـكَـلَّـمْـتُـهُـمْ مُـسْـتَـجِـيبًـا لِـمِـحْـنَـتِـهِـمْ :
إِنِّـنِـي مِـثْـلُـكُـمْ ... سَـوْفَ أُصْـبِـحُ
جُـمْـجُـمَـةً ذَاتَ يَـوْمٍ، وَتَـهْـزَأُ مِـنِّـيَ بَـعْـضٌ
مِـنَ الـنَّـظَـرَاتْ .

تَـوَهَّـمْـتُ أَنِّـيَ أَرْثُـو الـحَـيَـاةَ فَـرَاحَـتْ
مِـيَـاهُ تُـرَاوِغُ صَـوْتِـي ... هُـوَ الْـمَـوْجُ يَـفْـتِـكُ
بِـالـكَـلِـمَـاتْ .

بَـقَـايَـا السَّـفِـيـنَـةِ أَشْـيَـاءُ طَـافِـيَـةٌ ،
وَحِـبَـالٌ ، وَأَشْـرِعَـةٌ تَـتَـبَـاعَـدُ عَـنْ
بَـعْـضِـهَـا ، وَالـمَـعَـادِنُ عَـادَتْ إِلَـى أَصْـلِـهَـا ...
بَـاطِـنِ الأَرْضِ ... لَا بَـشَـرٌ حَـوْلَـهَـا
لَا ضَـجِـيجٌ . هُـوَ الـقَـاعُ مَـوْطِـنُـهَـا، وَأَنَـا
خَـائِـفٌ مِـنْ مَـصِـيرِ السَّـفِـينَـهْ .

أَرَادَتْ ذَهَابًا إِلَى شَاطِئٍ آمِنٍ ثُمَّ هَا هِيَ تُلْقِي بِرُكَّابِهَا نَحْوَ بَدْءِ الخَلِيقَهْ .

تَحَوَّلَ جِسْمِي انْسِيَابًا مَعَ الْكَائِنَاتِ الَّتِي تَتَزَاحَمُ أَلْوَانُهَا . هِيَ غَافِلَةٌ عَنْ وُجُودِي ، وَحَوْلِيَ بَقْبَقَةُ المَاءِ تَرْفُضُنِي : مَا الَّذِي قَدْ أَتَى بِكَ يَا كَائِنًا مُمْعِنًا فِي الْغَرَابَهْ ؟!

وُجُودِي غَرِيبٌ وَأَمَّا وُجُودُ الطَّحَالِبِ سَاكِنَةً فِي الصُّخُورِ فَلَيْسَ بِهِ مِنْ غَرَابَهْ .

وَقَالَ لِي الْحُلْمُ : «إِنَّ الْعَوَالِقَ مَوْجُودَةٌ هَا هُنَا مِنْ أُلُوفِ الدُّهُورِ، وَثَمَّةَ رُوحٌ تَجُولُ خِلَالَ جُزَيْئَاتِهَا ... رُبَّمَا تَتَزَايَدُ أَعْدَادُهَا بِازْدِيَادِ اضْطِرَابِ الْمُحِيطْ .

وَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا غَيْرُ عَاقِلَةٍ فَهْيَ تَشْعُرُ أَحْوَالَ مَا حَوْلَهَا مِنْ مِيَاهٍ ... مِيَاهٍ تُحَاوِلُ أَلَّا يَجِيءَ لَهَا زَائِرٌ لَوَّثَتْهُ المَدِينَهْ .»

فَقُلْتُ : تَمَنَّيْتُ لَوْ كُنْتُ بَيْنَ الْقُرُوشِ ... أَجُوسُ خِلَالَ مَسَافَاتِهِمْ ثُمَّ أُصْبِحُ مِنْهُمْ ... لَنَا نَظَرَاتٌ زُجَاجِيَّةٌ ، وَنُحِبُّ الدِّمَاءَ بِغَيْرِ مُوَارَبَةٍ ... إِنَّنَا عَازِمُونَ عَلَى الْقَتْلِ صُبْحًا وَلَيْلًا ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ نَنَامْ .

وَأَسْنَانُنَا طَعَنَاتٌ كَأَنَّا انْتِقَامٌ مِنَ الْكَائِنَاتِ الضَّعِيفَهْ .

شَعَرْتُ بِزَهْوٍ لِأَنِّي تَحَرَّرْتُ مِنْ طِيبَتِي ... قَدْ تَغَيَّرَ جَوْهَرُ ذَاتِي إِلَى ظَالِمٍ عَائِشٍ فِي انْتِصَارَاتِهِ ... لَمْ أَكُنْ فِي الْحَيَاةِ الَّتِي فِي الْبَرَارِي سِوَى بَشَرٍ طَارَدَتْهُ الْهَزِيمَهْ .

فَلَمَّا أَفَقْتُ مِنَ المَاءِ عُدْتُ إِلَى شَاطِئٍ كَانَ سِحْرًا مِنَ الشَّمْسِ وَالنَّخْلِ ... لَسْتُ أُرِيدُ سِوَى أَنْ أَظَلَّ وَحِيدًا يُؤَازِرُنِي مَا تَبَقَّى بِنَفْسِيَ مِنْ ذِكْرَيَاتْ .

مَشَيْتُ وَرَائِحَتِي شَابَهَا مَا يَشُوبُ المُحِيطْ .

رَأَيْتُ عَلَى الْبُعْدِ نَاسًا فَأَدْرَكْتُ أَنِّي رَجَعْتُ لِدُنْيَا الشُّرُورِ الَّتِي لَاحَقَتْنِي كَثِيرًا فَوَسْوَسَ لِي صَوْتُ مَوْجٍ بَعِيدٍ : إِذَا مَا أَرَدْتَ النَّجَاةَ فَلَيْسَ أَمَامَكَ إِلَّا الْمُحِيطْ .

نجاة الغافل

مُحَاضَرَةٌ، وَالْحُضُورُ بِهَا تُوَجُونِيَ مُلْهِمَهُمْ فَأَتَى لِفُؤَادِيَ بَعْضُ الْغُرُورْ .

جَلَسْتُ وَحَوْلِي مَصَابِيحُ خَافِتَةٌ ، وَالْحُضُورُ أَمَامِيَ قَدْ مَكَثُوا فِي الْغُرُوبْ .

مَلَامِحُهُمْ لَا أَرَاهَا ، وَأَسْمَعُ بَعْضًا مِنَ الْهَمَسَاتِ الْقَرِيبَهْ .

مُحَاضَرَتِي عَنْ جَلَاءِ الْبَصِيرَةِ فِي الصَّحَرَاءْ .

وَذَلِكَ أَدَّى لِأَنْ يُنْشِئَ الْعَرَبِيُّ التَّفَاعِيلَ مُعْجِزَةً ثُمَّ مَرَّ الزَّمَانُ كَنَارٍ مُسَافِرَةٍ فَتَكَاثَرَتِ الْكَلِمَاتْ .

بِتِلْكَ الصَّحَارِي الَّتِي هِيَ قَاسِيَةٌ
فِي جَلَاءٍ عَلَى مَنْ يَعِيشُونَ فِيهَا
تَكَاثَرَتِ الْكَلِمَاتْ .

عَرَفْنَا بِهَا وَجْدَ مَنْ عَشِقُوا، وَتَفَاخَرَ
مَنْ قَاتَلُوا، وَهَوَانَ الَّذِي شَرَّدَتْهُ
الهَزِيمَهْ .

وَصَارَ رَحِيلُ الْقَوَافِلِ مُمتَزِجًا بِالغِنَاءْ .

غِنَاءٌ يُخَفِّفُ مِنْ عَطَشٍ فِي
النُّفُوسِ ... يُخَفِّفُ مِنْ مَكْرِ تِلْكَ
الْقِفَارِ الَّتِي أَخْبَرَتْنَا : أَنَا فِي اللَّيَالِي
نُجُومٌ ، وَفِي الصُّبْحِ هَوْلُ المَفَازَهْ .

جَـــلَاءُ الـبَـصِـــيرَةِ أَوْحَـــى لِبَـعْـــضِ
الصَّـعَـالِيـــكِ أَنْ يُـنْـشِـــدُوا الشِّـعْـــرَ
فَـاتَّـصَلُوا بِـالْـخُـلُـودْ .

وَأَمَّـــا الَّـــذِي قَـــدْ أَرَادَ النُّـبُـــوَّةَ فَـانْـسَـابَ
مُـبْـتَـعِـدًا، وَتَـحَـــرَّرَ مِـمَّـــا لَـدَى الشِّـعْـرِ
مِـنْ نَـسَـقٍ يَـتَـحَـكَّـمُ فِـي الشُّـعَـرَاءْ .

نَـعَـــمْ ... كُـلُّ بَـيْـتٍ تَـمَـلَّـكَ قَـافِـيَـةً سَـوْفَ
تَـمْـضِـي إِلَـيْـهَـا قَـلِـيلٌ مِـنَ الْـكَـلِـمَـاتْ .

تَـحَـرَّرَ فَـاخْـتَـارَ أَنْـغَـامَـهُ ... لَـكَـأَنَّ لَـهِـيـبًـا
خَـفِـيًّـا تَـسَـلَّـلَ بَـيْـنَ الْـحُـرُوفْ .

وَضَـاعَ الـلَّـهِيـبُ بُعَيْـدَ الْوُصُـولِ إِلَـى عَتَبَاتِ المَدِينَـهْ .

وَقَـالَ لِـي الحُـلْـمُ : « إِنَّ الْحُـضُـورَ شَتَـاتٌ ، وَمِنْهُـمْ شُخُـوصٌ يَـرَوْنَ بِـأَنَّ حَـدِيثَـكَ لَيْسَ يَلِيـقُ بِـمَـا قَـدْ أَتَـى فِـي الـكِتَـابْ .

يَـرَوْنَ بِـأَنَّـكَ تُـؤْمِـنُ أَنَّ هُنَـالِـكَ مَـا هُـوَ أَجْـمَـلُ مِـمَّـا أَتَـى فِي الـكِتَابْ .

وَهَـا أَنْـتَ فِـي مِحْـنَـةٍ لَسْـتَ تَـدْرِي مَـدَاهَـا ، وَحَـوْلَـكَ بَعْـضٌ مِـنَ الْأَعْيُـنِ الـمُسْتَرِيبَـهْ .»

تَسَلَّلَ لِي عَابِرٌ مُمْعِنٌ فِي
دَوَاوِينِ شِعْرِي ، وَقَالَ : « حَذَارِ مِنَ
الْحَاقِدِينْ .»

وَهَا قَدْ غَزَانِيَ كَشَّافُ ضَوْءٍ
فَأَبْعَدَنِي عَنْ وُجُودِي ... تَضَاءَلَ
جِسْمِي ، وَصَارَتْ حَوَاسِّي ارْتِبَاكًا ،
وَمَا عُدْتُ أَشْعُرُ أَنِّيَ مُلْهِمُهُمْ ...
كَيْفَ أَهْرُبُ مِنْ شَرَكِ الضَّوْءِ نَحْوَ
الظَّلَامْ ؟

إِذَا مَا نَجَوْتُ رَجَعْتُ إِلَى عُزْلَتِي
وَإِلَى الْجَوْهَرِ الْأَبَدِيِّ لِذَاتِي الَّتِي
تَنْتَمِي لِلشُّرُودْ .

شُرُودٌ يُسَايِرُ نَفْسِي، وَيَأْخُذُهَا
لِجَلَاءِ الْبَصِيرَهْ .

نظرية المرايا

قَـدِ انْـسَـبْـتُ بَـيْـنَ الـمَـرَايَـا فَـصَـارَ الـمَـكَـانُ أَمَـاكِـنَ ... أَمَّـا أَنَـا فَـأَرَانِـي كَـثِـيـرًا مِـنَ النَّاسِ ... تُـهْـتُ ، وَلَا .. لَـمْ أَخَـفْ مِـنْ وُجُـودِي بِـتِلْكَ الـمَـتَـاهَـهْ .

دَخَـلْـتُ بِـأَزْمِـنَـةٍ تَـتَـرَاجَـعُ نَـحْـوَ الـبِـدَايَـهْ .

هُـنَـاكَ أُلُـوفُ الـعَـلَاقَـاتِ بَـيْـنَ الـمَـرَايَـا ، وَحَـوْلِـي خُـفُـوتُ إِضَـاءَاتِـهَـا ، وَالْـفَـرَاغُ يُـحَـاصِـرُنِـي ، فَـتَـحَـوَّلْـتُ عَـبْـرَ الثَّـوَانِـي أَثِـيـرًا خِـلَالَ الأَثِـيـرْ .

جُـزَيـئَـاتُ جِـسْـمِـي لَـهَـا صِـلَـةٌ بِـالـفَـضَـاءْ .

فَـمَـا عُـدْتُ أَدْرِي بِـمَـا هُـوَ أَعْـلَـى ، وَمَـا هُـوَ أَسْـفَـلُ ... كُـلُّ الـجِـهَـاتِ تُـوَائِـمُ ... لَـيْـسَ هُـنَـاكَ ضَـيَـاعٌ ، وَلَـيْـسَ هُـنَـاكَ اهْـتِـدَاءْ .

وَلَـمَّـا تَـقَـدَّمَ لَـيْـلٌ تَـرَاءَتْ نُـجُـومٌ خِـلَالَ الـمَـرَايَـا ... مَـرَايَـا مَـرَايَـا تُـسَـافِـرُ بَـيْـنَ الـمَـجَـرَّاتِ عَـاكِـسَـةً مَـا يَـمُـرُّ عَـلَـيْـهَـا مِـنَ النُّـورِ وَالـظُّـلُـمَـاتِ الـمُـخِـيـفَـهْ .

تَـــرَاءَى الـوُجُـودُ يُـكَـــرِّرُ مِـــنْ نَـفْـسِـهِ
بِـوُجُودِ المَـرَايَـا ... تَـدَاخَـلَ مَـا هُـوَ وَهْـمٌ
بِـأَسْـرَابِ وَهْـــمٍ ... أَمَـاكِـنُ زَائِـفَـةٌ كَـوَّنَـتْ
مَـا يُـدَارِي الـحَـقِـيقَـهْ .

بَـدَأْتُ أَخَـافُ وُجُـودِي بِـهَـذِي الـمَـتَـاهَـهْ .

فَـخَـفَّـفَ عَـنِّـيَ أَنْ جَـــاءَ ذَاكِـرَتِـي وجـهُ
تـلـك الفتـاةِ التـي قـد تَـمَـنَّـيْـتُـهَـا ...
إِنْ دَخَـلْـنَـا مَـعًـا فِـي الـمَـرَايَـا أَقَـمْـنَـا
هُـنَـاكَ بِـأَزْمِـنَـةٍ مُـتَـبَـاطِـئَـةٍ لَا تُـرِيـدُ
الـرَّحِـيـلْ .

أَنَـا وَاحِـدٌ ، وَأُحَـاوِلُ أَنْ أَتَـكَـلَّـمَ عَـمَّـا
يُـسَـاوِرُنِـي بَـعْـدَ أَنْ صِـرْتُ جَـمْـعًـا
فَـقَـالَ لِـي الـحُـلْـمُ « لَـسْـتَ بِـجَـمْـعٍ ،
وَلَـيْـسَ عَـلَـيْـكَ مُـجَـارَاةُ مَـا يَـعْـتَـرِيـكَ
مِـنَ الـرَّغَـبَـاتْ .

تَـبَـاعَـدْ فَـإِنَّ اجْـتِـمَـاعَ الـمَـرَايَـا
مَـكِـيـدَهْ » .

فَقُلْتُ هُنَاكَ شُخُوصٌ عَلَى مَرِّ عُمْرِيَ قَدْ خَذَلُونِي وَهُمْ فِي ازْدِيَادْ .

أَرَاهُمْ بِقَاعَ المَرَايَا الَّتِي صَدِئَتْ يَسْتَحِيلُونَ ثَرْثَرَةً تُشْبِهُ الهَذَيَانْ .

تَجَاهَلْتُ أَصْوَاتَهُمْ فَرَأَيْتُ صَبَاحًا فَلَمَّا ذَهَبْتُ إِلَيْهِ تَرَاءَتْ عَلَى الْبُعْدِ شَمْسُ ... إِذَا حَوَّلَتْهَا المَرَايَا شُمُوسًا فَإِنِّي المَلُومُ إِذَا أَحْرَقَتْنِي ... سَمِعْتُ الَّذِي قَالَ لِي « نَحْنُ نَمْضِي لِأَرْضِ الرَّمَادْ » .

تَعَجَّبْتُ أَنِّي أَمُوتُ بِحُلْمٍ فَلُذْتُ بِبِضْعِ ثَوَانٍ تُسَارِعُ نَحْوَ الإِفَاقَهْ .

خَشِيتُ الشُّمُوسَ فَصَارَحْتُ نَفْسِي بِأَنَّ المَرَايَا مُرَاوِغَةٌ ... إِنَّهَا تَنْتَمِي لِلْجُنُونِ الَّذِي فِي المِيَاهِ العَمِيقَهْ .

فَـوَسْـوَسَ لِـي الـمَـاءُ « يُـمْـكِـنُـنِـي أَنْ أَكُـونَ مَـرَايَـا إِذَا صِـرْتُ سَـطْـحًـا بِـلَا نَـزَوَاتْ » .

فَـلَـمَّـا أَفَـقْـتُ تَـحَـسَّـرْتُ أَنَّ الـمَـرَايَـا تَـعَـامَـتْ فَـمَـا جَـعَـلَـتْـنِـي أُلَاقِـي الـفَـتَـاةَ وَلَـوْ لَـحَـظَـاتٍ قَـلِـيلَـهْ .

كَـأَنَّ الـمَـرَايَـا رَأَتْ أَنَّ ذَاكَ اللِّـقَـاءَ سَـيَـأْخُـذُ عُـمُـرِيَ نَـحْـوَ النِّـهَـايَـهْ .

تَـفَـاءَلْـتُ بِـالـنَّـاسِ عَـامًـا فَـعَـامًـا ، وَلَـمَّـا
اسْـتَـخَـفَّـتْ شَـيَـاطِـيـنُـهُـمْ بِـضَـمِـيـرِي
لَـجَـأْتُ لِـبَـادِيَـةٍ حُـوصِـرَتْ بِـالْـخَـلَاءْ .

تَـقَـدَّمْـتُ فِـي ثِـقَـةٍ غَـيْـرَ أَنَّ نَـسَـائِـمَ
عَـابِـرَةً أَخْـبَـرَتْـنِـي بِـأَنَّ هُـنَـاكَ
مَـعَـارِكَ ... مَـنْ خَـاضَـهَـا مَـا لَـهُ مِـنْ
نَـجَـاةٍ فَـلَـمَّـا اقْـتَـرَبْـتُ رَأَيْـتُ فَـنَـاءَ
الْـقَـبِـيـلَـهْ .

هَـرَبْـتُ وَأَوْهَـمْـتُ نَـفْـسِـي بِـأَنِّـي إِذَا
مَـا نَـجَـوْتُ نَـجَـا الشِّـعْـرُ، وَانْـدَفَـعَ
الـمَـاءُ نَـحْـوَ نُـهَـيْـرٍ بَـعِـيـدْ .

تَـفَـاءَلْـتُ بِـالـنَّـاسِ دَهْـرًا إِلَـى أَنْ
يَـئِـسْـتُ ، وَفِـي عُـزْلَـتِـي لَـمْ تَـعُـدْ لِـي
الـبَـصِـيـرَهْ .

فَـأَوْعَـــزَ لِـــي الـحُـلْـمُ : « أَنْـتَ سَـتَـنْـجُـو
مِـنَ الْـيَـأْسِ إِنْ عِـشْـتَ مِـثْـلَ الذِّئَـابْ ».

فَـلَـــمْ أَتَـــرَدَّدْ ... عَـوَيْـتُ فَـضَـــاعَ الْـعُـوَاءُ
خِـلَالَ الْـفَـضَـــاءْ .

عَـــوَيْـــتُ إِلَـــى أَنْ أَتَـــانِـــي قَـطِـيـــعُ
ذِئَـــابٍ يُـرِيـــدُ مُـصَـــادَقَـتِـــي ... خِـفْـــتُ
مِـنْـهُـــمْ قَـلِـيـــلًا فَـخَـافُـــوا قَـلِـيـــلًا ،
وَلَـمَّـا تَـيَـقَّـنْـتُ أَنِّـــيَ أَصْـبَـحْـتُ مِـنْـهُـمْ
شَـعَـرْتُ الَّـذِي حَـوْلَـنَـا مِـنْ سُـهُـولْ .

مَـضَـيْـتُ خِـلَالَ انْـطِـلَاقَـاتِـهِـمْ تَـابِـعًـا ...
إِنَّ قَـلْـبِـي الَّـــذِي هُـــوَ مِـــنْ وَجَـــلٍ كَـانَ
يَـجْـعَـلُـنِـــي لَا أُشَـارِكُـهُـــمْ فِـــي
اصْـطِـيَـادِ الْـوُعُـولْ .

وَحِيدًا تَأَلَّمْتُ مِنْ نَظَرَاتِ الضَّحَايَا،
وَمَا يَتَرَاءَى بِهَا مِنْ بَرَاءَهْ .

لَقَدْ صِرْتُ ذِئْبًا وَلَمْ أَتَوَحَّشْ كَأَنِّيَ
مَا جِئْتُ مِنْ بَشَرٍ يَنْتَمُونَ إِلَى
هَوَسٍ بِالقِتَالْ .

تَرَاءَتْ عَلَى الْبُعْدِ نَاسٌ مُسَافِرَةٌ
فَتَجَاهَلْتُهُمْ ... لَنْ أَعُودَ لِتِلْكَ
النُّفُوسِ الْغَرِيبَهْ .

بَرِيءٌ أَنَا مِنْ دِمَاءِ الْوُعُولِ ، وَلَكِنَّ
جُوعِيَ يَدْفَعُنِي أَنْ أُشَارِكَ مَنْ
جَعَلُونِي صَدِيقًا لَذَاذَةَ نَهْشِ
الْوُعُولْ .

صيف قديم

سَـرَابٌ يُـحَـاوِلُ أَنْ يَـتَـحَـوَّلَ مَـاءً ، وَثَـمَّـةَ بَـعْـضُ ثَـعَـابِـينَ تَـغْـطِـسُ فِـي الرَّمْـلِ ... هَـلْ هِـيَ هَـارِبَـةٌ لِـجَـحِـيمٍ تَـقِـلُّ حَـرَارَتُـهُ عَـنْ جَـحِـيـمٍ مُـمِـيتْ ؟!

كَـأَنِّـي أَسْـمَـعُ صَـوْتًـا تَـمَـادَى بِـوَصْـفِ الْـحَـيَاةِ إِذَا مَـا اسْـتَـضَـافَـتْ ظَـهِـيـرَتُـهَـا شِـدَّةَ الْـحَـرِّ فَـاحْـتَـرْتُ بَـيْـنَ الْـكَـثِـيـرِ مِـنَ الْـمُـفْـرَدَاتِ لَـدَى اللُّـغَـةِ الْـعَـرَبِـيَّـهْ .

أَنَـا الْآنَ فِـي الْـقَـيْـظِ بَـلْ إِنَّـهُ الـصَّـهْـدُ بَـلْ قَـدْ دَخَـلْـتُ لِـرَمْـضَـاءَ كَـانَـتْ تُـحَـاوِلُ أَنْ تَـنْـتَـمِـي لِلَّـهِـيبْ .

شَـعَـرْتُ بِـأَنِّـي تَـحَـوَّلْـتُ أَعْـمـى لِـفَـرْطِ الـضِّـيَـاءِ الَّـذِي كَانَ يَـأْخُـذُ مِـنْ جَـسَـدِي مَـجْـدَهُ ثُـمَّ يَـجْـعَـلُـهُ مِنْ عِظَامٍ هَـزِيلَـهْ .

رِمَـالٌ .. رِمَـالٌ .. لَـقَـدْ صِـرْتُ لَا شَـيْءَ فِـيهَـا وَحَـوْلِـي الضُّـحَـى لَا يَـزُولْ .

وَهَـا عَـابِـرٌ يَـمْـتَـطِـي نَـاقَـةً ... رُحْـتُ أَسْـأَلُـهُ أَيْـنَ .. أَيْـنَ الـسَّـبِـيـلُ الَّـذِي سَـوْفَ يَـأْخُـذُنِـي لِـلْـغُـرُوبْ ؟

كَـأَنِّـيَ خَـاطَـبْـتُ ظِـلًّا فَـقَـالَ لِـيَ الـحُـلْـمُ : « أَنْـتَ تَـسِـيـرُ إِلَـى صَـيْـفِ مَـكَّـةَ ... إِنِّـي أَرَاكَ تَـبَـاطَـأْتَ فِـي طُـرُقَـاتِ الـزَّمَـانِ فَـتُـهْـتَ ، وَهَـا أَنْـتَ تَرْجِـعُ لِـلـجَـاهِـلِـيَّـهْ .

هُـنَـاكَ الـنُّـفُـوسُ يُـفَـرِّقُـهَـا جَـدَلٌ وَاخْـتِـصَـامٌ وَيَـجْـمَـعُـهَـا الـشِّـعْـرُ وَهْـوَ الـكَـثِـيـرُ مِـنَ الـلَّـحَـظَـاتِ الـفَـتِـيَّـهْ .

إِذَا قُلْتَ شِعْرًا لَهُمْ لَنْ يُحِسُّوا
خَبَايَا مَفَاتِنِهِ . إِنَّ أَحْوَالَ شِعْرِكَ
مَمْزُوجَةٌ بِشُجُونٍ أَتَتْكَ وَأَنْتَ رَهِينُ
بِلَادٍ بَعِيدَهْ ».

فَقُلْتُ : أَنَا أَتَسَمَّعُ أَصْوَاتَ نَاسٍ
لَدَيْهِمْ كَثِيرٌ مِنَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي
لَسْتُ أَعْرِفُهَا ... كَلِمَاتٌ سَيَأْتِي
الزَّمَانُ عَلَيْهَا فَتُصْبِحُ مِثْلَ رَحِيلِ
النُّفُوسِ الْأَبِيَّهْ .

وَلَمَّا تَقَدَّمْتُ فِي وَجَلٍ وَانْتِشَاءٍ مِنَ
الْكَعْبَةِ الْمُسْتَكِينَةِ لِلْغَيْبِ
مَا عَادَ فِي جَسَدِي عَطَشٌ ثُمَّ
فِي لَحَظَاتٍ تَبَاعَدَتِ الشَّمْسُ ،
وَاسْتَرْسَلَتْ فِي الأَصِيلْ .

فَقَالَ لِي الْحُلْمُ : « تِلْكَ الْحِجَارَةُ
لَيْسَتْ بِمَيِّتَةٍ ، وَأَرَاهَا تُحُسُّ
بِمَا قَدْ أَحَاطَ بِهَا مِنْ طَوَافٍ ،
وَتَزْدَادُ وُجْدًا بِقَدْرِ الَّذِي حَوْلَهَا مِنْ
بُكَاءْ ».

وَرَاحَ يُـؤَنِّـبُـنِـي : « آهِ إِنِّـي أَرَاكَ تَـبَـاعَدْتَ عَـمَّـا يَـرَاهُ الْـكَـثِـيـرُ مِـنَ الـنَّـاسِ عَـيْـنَ الْـحَـقِـيـقَـهْ .

تَـرَكْـتَ طُـمَـأْنِـيـنَـةً وَيَـقِـيـنًـا ، وَصَـارَ يَـقِـيـنُـكَ أَنْ تَـتَـبَـاعَـدَ نَـحْـوَ ضَـيَـاعٍ يَـلُـوذُ بِـهِ أَكْـثَـرُ الـشُّـعَـرَاءْ .

ضَـيَـاعٌ تَـمَـادَى بِـهِ كُـلُّ مَـنْ أَنْـكَـرَ الأَبَـدِيَّـهْ ».

فَـقُـلْـتُ : حَـيَـاتِـي مُـغَـامَـرَةٌ لَا تُـرِيـدُ اكْـتِـمَـالًا وَقَـدْ أَخَـذَتْ بَـعْـضَ أَحْـوَالِـهَـا مِـنْ جُـنُـونِ الْـوُجُـودْ .

وَهَـا عَـابِـرٌ قَـدْ دَعَـانِـي إِلَـى رِحْـلَـةِ الـصَّـيْـفِ ... قَـالَ : « هَـلُـمَّ إِلَـى الـشَّـامِ نَـسْـرِي بِـأَجْـوَائِـهَـا ، وَنَـضِـيـعُ خِـلَالَ بَـسَـاتِـيـنِـهَـا عَـلَّـنَـا لَا نَـعُـودْ ».

وَبَـعْـدَ ثَـوَانٍ تَـلَاشَـتْ مَـسَـافَـاتُ مَـكَّـةَ ثُـمَّ اخْـتَـفَـى الـنَّـوْمُ فَـابْـتَـدَأَ الْـفَـجْـرُ يُـرْسِـلُ بَـعْـضَ الـشِّـتَـاءِ لِـجِـسْـمِـي ، وَيَـأْمُـرُنِـي أَنْ أَخُـوضَ مَـشَـقَّـةَ هَـذِي الْـكِـتَـابَـهْ .

مَصَابِيحُ خَافِتَةٌ تَتَنَاثَرُ دَاخِلَ كَهْفٍ ... لَقَدْ كَانَ خَمَّارَةً فَرَأَيْتُ عَلَى الْقُرْبِ مِنِّي نَجِيبَ الرِّوَايَهْ .

حَفَاوَتُهُ وَمَوَدَّتُهُ جَعَلَتْ عُمْرَهُ مِثْلَ عُمْرِي ، وَلَمَّا ابْتَدَأْنَا حِوَارَاتِنَا كَانَ قَلْبِي عَلَى ثِقَةٍ أَنَّنَا قَدْ رَجَعْنَا شَبَابًا وَحِينَئِذٍ صَارَ يُخْبِرُنِي بِطَرَائِفَ مَرَّتْ بِهِ وَهْوَ يَنْسَابُ عَبْرَ دُرُوبِ الغَوَايَهْ .

تَسَلَّلَتِ الْخَمْرُ نَحْوَ مَدَارِكِنَا ، وَكِلَانَا اكْتَفَى بِالقَلِيلْ .

وَلَمَّا وَصَلْنَا إِلَى نِصْفِ وَعْيٍ تَأَجَّجَ وِجْدَانُنَا بِالرُّؤَى ، وَبَدَأْنَا نُحِبُّ الوُجُوهَ التِي فَقَدَتْ وَعْيَهَا ... هَا هُنَا يَدْفَعُونَ نُقُودًا لِكَيْ يَفْقِدُوا وَعْيَهُمْ ... يَشْتَرُونَ بِلا نَدَمٍ غَفْلَةً فَقَدُوهَا بُعَيدَ انْتِهَاءِ الطُّفُولَهْ .

شُجُونُ السُّكَارَى قَصَائِدُ حَالِمَةٌ ، بَلْ مَشَاعِرُ غَامِضَةٌ أَفْلَتَتْ مِنْ إِسَارِ الكِتَابَهْ .

وَمَنْ صَنَعَ الْخَمْرَ مُنْذُ قَدِيمِ الزَّمَانِ يُتَاجِرُ فِي رَغْبَةِ النَّاسِ أَنْ تَتَبَاعَدَ عَنْ نَفْسِهَا وَتَهِيمْ .

وَقَالَ لَنَا مَالِكُ الْكَهْفِ مُبْتَسِمًا : « إِنَّ كَهْفِي أُلُوفُ الْحِكَايَاتِ ... كَمْ مِنْ أُنَاسٍ يَزُورُونَنِي بِنُفُوسٍ حَيَارَى ، وَبَعْدَ قَلِيلٍ مِنَ الْخَمْرِ يَنْدَمِجُونَ بِأَوْهَامِهِمْ ... إِنَّ أَعْيُنَهُمْ أَفْصَحَتْ لَيْتَنَا لَا نَعُودُ لِتِلْكَ الحَيَاهْ ».

وَقَالَ لِي الْحُلْمُ : « إِنَّ النَّجِيبَ كُنُوزُ الحَيَاهْ ».

تَمَازَجْتُ بِالْكَهْفِ حَتَّى سَمِعْتُ الظَّلَامَ الَّذِي يَتَنَاثَرُ بَيْنَ الْمَصَابِيحِ بَعْضًا مِنَ الهَمَسَاتْ .

شَعَرْتُ بِأَنَّ النَّجِيبَ يَرَى بِبَصِيرَتِهِ أُفُقًا لَا أَرَاهْ .

فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ ذَاتِيَ مِنْ غُرْبَةٍ تَتَحَاوَرُ فِيهَا سَمَاوَاتُ لَيْلٍ بِأَقْدَارِ نَاسٍ وَذَلِكَ يَجْعَلُ نَفْسِيَ لَا تَسْتَسِيغُ الَّذِي جَاءَ فِي الْفَلْسَفَاتْ .

أَبَيْتُ بِأَنْ أَتَمَادَى خِلَالَ الْكَثِيرِ مِنَ الصَّفَحَاتِ التِي مَا بِهَا مِنْ دِرَامَا ... فَلَا ... لَا تَلُمْنِي لِأَنِّيَ أَحْسَسْتُ أَنَّ الْكِتَابَاتِ تِلْكَ ذَهَابٌ بِلا رَجْعَةٍ لِلزَّوَالْ .

تَأَمَّلْتُ جَوْهَرَهَا فَرَأَيْتُ نَصَائِحَ عَابِرَةً يَتَبَاهَى بِهَا الأَدْعِيَاءْ .

وَقَالَ لِيَ الْحُلْمُ: « بَعْدَ ثَوَانٍ سَتَأْتِي إِلَيْكَ الْكَآبَهْ ».

وَهَـا ... بَـرَزَتْ ثُـلَّـةُ لَـسْـتُ أَدْرِي لَـهَـا عَـدَدًا ثُـمَّ سَـارَتْ إِلَـيْـنَـا ... هَـمَـسْـتُ لَـهُ جَـاءَنَـا بَـعْـضُ أَهْـلِ الْـخِـيَـانَـةِ.

رَأَيْـتُ حَـفَـاوَتَـهُ بِـأُولَاءِ الـضَّـفَـادِعِ وَاضِـحَـةً ... كَـانَ يَـعْـلَـمُ أَنِّـيَ أَكْـرَهُـهُـمْ فَـانْـسَـلَـلْـتُ بَـعِـيـدًا فَـلَـسْـتُ أَنَـا مَـنْ يُـجَـالِـسُـهُـمْ ... لَا طُـمُـوحَ لَـدَيَّ إِذَا كَـانَ مُـتَّـصِـلًا بِـالْـخُـثَـالَـهْ .

خَـرَجْـتُ مِـنَ الـكَـهْـفِ مُـنْـهَـزِمًـا فَـرَأَيْـتُ الـطَّـرِيـقَ غُـيُـومًـا ... تَـسَـاءَلْـتُ أَيْـنَ أَنَـا؟! ثُـمَّ أَسْـرَعْـتُ مُـسْـتَـرْشِـدًا بِـبُـيُـوتٍ بَـعِـيـدَهْ .

وَقَـالَ لِـي الْـحُـلْـمُ : « لَـسْـتُ أَنَـا مَـنْ أَتَـاكَ بِـتِـلْـكَ الْـكَـوَابِـيـسِ يَـا صَـاحِـبِـي » وَاخْـتَـفَـى الْـحُـلْـمُ مُـدَّعِـيًـا أَنَّـهُ لَا يُـطِـيـقُ ارْتِـكَـابَ الـذُّنُـوبْ .

فَعَادَ خَيَالِي إِلَى الْكَهْفِ ... هَا هُوَ يَمْكُثُ بَيْنَ الضَّفَادِعِ لَا يَتَأَفَّفُ مِنْهُمْ ... تَعَجَّبْتُ أَنَّ الْعَظِيمَ يُجَارِي النَّقِيقْ .

تَقَدَّمْتُ فِي عُزْلَتِي فَكَأَنِّي تَحَرَّرْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَفِي لَحَظَاتٍ تَلَاشَتْ غُيُومُ الطَّرِيقْ .

ظَـلَامٌ قَـلِـيـلٌ يُـحِـيـطُ وُجُـودِي ...
تَـبَـاعَـدْتُ عَـنْـهُ فَـجَـاءَ إِلَـيَّ ظَـلَامٌ
عَـمِـيـمْ .

رَأَيْـتُ عَـلَـى الـبُـعْـدِ أَضْـوَاءَ خَـافِـتَـةً ...
آهِ إِنَّ هُـنَـاكَ نُـفُـوسًـا تُـرِيـدُ لِـقَـائِـي
فَـزَادَ ارْتِـبَـاكِـي ، وَهَـا ... كُـلَّـمَـا
اسْـتَـرْسَـلَـتْ خُـطُـوَاتِـي تَـزَايَـدَ حَـوْلِـي
الـظَّـلَامْ .

شَـعَـرْتُ بِـأَنَّ الـمَـجَـرَّةَ – كُـلَّ الـمَـجَـرَّةِ –
وَعْـيٌ تَـشَـتَّـتَ مُـسْـتَـرْسِـلًا فِـي
الـفَـضَـاءَاتِ ... أَمَّـا بَـقَـايَـا جُـزَيـئَـاتِـهِ
فَـهْـيَ تَـمْـضِـي لِـبَـعْـضِ الـكَـوَاكِـبِ
تُـهْـدِي إِلَـيْـهَـا الَّـذِي يَـجْـعَـلُ الـكَـائِـنَـاتِ
حُـشُـودًا مِـنَ الـنَّـبَـضَـاتْ .

وَمَـرَّتْ دُهُـورٌ فَـجَـاءَ أُنَـاسٌ ضَـمَـائِـرُهُـمْ
أَخْـبَـرَتْـهُـمْ بِـأَنَّ هُـنَـالِـكَ آلِـهَـةً
فَـاسْـتَـحَـالَ الـزَّمَـانُ مَـآسِـيَ مُـهْـلِـكَةً ،
وَأَنَـا حَـائِـرٌ فِـي الـخَـلَاءْ .

وَفِـــي لَـحَـظَـــاتٍ تَـلَاشَـــى الْـــخَـــلَاءُ
فَـصِـــرْتُ بِـبَـيْـتٍ ... أَنَـــا الْآنَ وَحْـدِي بِـهِ ،
وَأُحِـــسُّ بِـــأَشْـيَـــائِـهِ ... هِـــيَ حَـــوْلِـي ...
أَرَاهَـــا ، وَلَـــسْـــتُ أَرَاهَـــا ، وَسَـــمْـعِـــيَ
صَـــارَ حَـــوَاسِّـــي ... أَحَـــاطَ الـــشِّـتَـــاءُ
بِـجِـسْـمِـــي وَأَخْـبَـرَنِـــي « إِنَّـنِـي صِـــرْتُ
كُـلَّ الـفُـصُـولْ ».

جَـلَـسْـــتُ عَـلَـــى مَـقْـعَـــدٍ فَـاخْـتَـلَـيْـتُ
بِـنَـفْـسِـــي وَبَـعْـدَ ثَـوَانٍ مِـــنَ الْـوَجْـدِ مَـا
عُـــدْتُ نَـفْـسِـــي ، وَلَا شَـــيْءَ يُـخْـبِـرُنِـــي
مَـنْ أَكُـونْ .

تَـبَـدَّلْـــتُ حَـتَّـــى رَأَيْـتُ وُجُـوهًـــا تَـــرَاءَتْ
لِـطَـهَ حُـسَـيْـنْ .

بِـهَـــذَا رَجَـعْـــتُ لِـبَـعْـضِ الْـمَـــآسِـــي
الَّـتِـــي اشْـتَـعَـلَـتْ ثُـمَّ ظَـلَّـتْ قُـرُونًـــا
بِـغَـيْـرِ انْـطِـفَـاءٍ.

مَـآسٍ يُـتَـوِّجُـهَـا يَـوْمُ قَـتْـلِ الْـحُـسَـيْـنْ .

تَـحَـوَّلْـتُ جِـسْـمًـا نَـحِـيـلًا تُـحَـاصِـرُهُ
الْأُمْـنِـيَـاتْ .

عَمِيتُ فَجَاءَتْ لِي الْكَلِمَاتُ تُفَرِّقُ
بَيْنَ الضِّيَاءِ وَبَيْنَ الظِّلَالْ .

عَمِيتُ فَأَدْرَكْتُ أَنَّ الْمَقَادِيرَ
مُبْصِرَةٌ وَهْيَ تَعْبَثُ بِالْعَابِرِينْ .

وَقَالَ لِي الْحُلْمُ « لَنْ تَتَحَمَّلَ أَنْوَارَ
هَذَا الْعَمَاءْ .

تَبَاعَدْ فَإِنَّ عَنَاءَ الضَّيَاعِ أَمَامَ
الْمَجَرَّةِ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُسَائِلَ نَفْسَكَ
مُنْعَزِلًا مَنْ أَكُونْ ».

أَفَقْتُ مِنَ النَّوْمِ مُخْتَنِقًا هَارِبًا
مِنْ مَصِيرِ الْحُسَيْنِ ، وَمِنْ سَفَرٍ
خَاضَهُ قَلْبُ طَهَ حُسَيْنْ .

التي قد تمادت

مَلَامِحُهَا أَظْهَرَتْ جُرْأَةً ، بَيْنَمَا نَظَرَاتِيَ قَدْ أَخْبَرَتْهَا بِأَنِّي أَعْزَبُ ... قَالَتْ « أُحِبُّ الرِّجَالَ الَّذِينَ مَلَامِحُهُمْ أَسْرَفَتْ فِي الْجُمُوحْ ».

كَأَنَّا اتَّفَقْنَا بِلَا كَلِمَاتٍ عَلَى قُدْرَةِ الْجَسَدَيْنِ عَلَى المُعْجِزَاتْ .

تُجَالِسُنِي مُتَأَلِّقَةً ، وَالمَوَائِدُ مِنْ حَوْلِنَا امْتَلَأَتْ بِالمَسَرَّاتِ ... كُنَّا بِبَهْوٍ يُطِلُّ عَلَى البَحْرِ ... قَالَتْ « إِذَا مَا اقْتَرَبْتَ هَمَسْتُ إِلَيْكَ بِسِرٍّ » فَلَمَّا اقْتَرَبْتُ تَمَادَتْ ، وَصَارَتْ تُقَبِّلُنِي غَيْرَ آبِهَةٍ بِالْحُضُورْ .

وَقَالَتْ « عَضَضْتُكَ فِي شَفَتَيْكَ » وَرَاحَتْ تَقَهْقِهُ دُونَ حَيَاءْ .

وَهَـــا ... زَوْجَـتِـــي أَيْـقَـظَـتْـنِـــي وَقَـــالَـتْ « قَـلِـقْـــتُ لِأَنِّـــي سَـــمِـــعْـــتُـــكَ تَـهْـذِي » ... نَـظَـرْتُ إِلَـيْـهَـا بِـعَـيْـنَـيْـنِ نَـاعِـسَـتَـيْـنِ ، وَقُـلْـــتُ لِـنَـفْـسِـــي إِذَا أَدْرَكَـتْ مَـا مَـرَرْتُ بِـهِ مِـنْ جُـنُـونٍ فَـإِنِّـي مَـلُـومْ .

تَـحَـسَّـسْـــتُ فِـــي لَـــهْـــفَـــةٍ شَـــفَـــتِـــيْ مَـــا وَجَـدْتُ نِـقَـاطَ دِمَـاءْ .

... وَقَالَ لِي الْحُلْمُ « إِنَّ عَلَيْكَ الرَّحِيلَ خِلَالَ كِتَابَاتِ ذَاكَ الطَّبِيبِ الَّذِي خَاضَ عَبْرَ نُفُوسٍ كَثِيرَهْ .

لَقَدْ قَالَ فِي ثِقَةٍ إِنَّهُ يَتَذَكَّرُ أَسْعَدَ أَيَّامِهِ ... إِنَّهَا بَدَأَتْ مُنْذُ أَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ لَا شَيْءَ حَتَّى الْوُصُولِ إِلَى سَنَوَاتٍ ثَلَاثَهْ .

وَإِنَّ الرَّضَاعَةَ مِنْ أُمِّهِ امْتَزَجَتْ بِمَشَاعِرِ جِنْسٍ » فَقُلْتُ وَهَلْ عَلِمَتْ أُمُّهُ أَنَّ ذَاكَ الرَّضِيعَ بِهِ مَا بِهِ مِنْ وَقَاحَهْ ؟!

تَعَجَّبْتُ أَنَّ الَّذِي نَفْسُهُ هَلْوَسَاتٌ يُفَسِّرُ أَحْلَامَهُ ، وَيُفَسِّرُ أَحْلَامَنَا ... وَاهِمٌ مَنْ يُحَاوِلُ تَفْسِيرهَا أَوْ يُحَاوِلُ تَأْوِيلَهَا أَوْ يَرَاهَا مُقَدِّمَةً لِنُبُوءَهْ .

وما يَـدَّعِـيـهِ الـمُـخَـرِّفُ يُـشْـبِـهُ عِـنْـدِي أَبَـاطِـيـلَ قَـدْ أَرْسَـلَـتْـهَـا الْـعُـهُـودُ الـقَـدِيـمَـهْ .

فَـوَسْـوَسَ لِـي الـلَّـيْـلُ « لَـيْـسَ سِـوَى شَـاعِـرٍ مَـنْ يُـطَـارِدُ ذَاكَ الأَسَـى أَوْ يُـلَاحِـقُ أَلْـفَ خَـيَـالٍ ، وَيَـجْـعَـلُـهُ مِـنْ خِـلَالِ الـتَّـفَـاعِـيـلِ أَلْـفَ احْـتِـمَـالٍ ... هُـنَـاكَ مَـعَـانٍ ، وَلَـيْـسَ هُـنَـاكَ حَـقِـيـقَـهْ ».

يُخادِعُني زَمَنٌ لَسْتُ أَدْرِي مَتَى عِشْتُهُ ... كَيْفَ عُدْتُ إِلَيْهِ ، وَكَيْفَ أَنَا الْآنَ أَنْسَابُ شَابًّا ، وَمَنْ ذَا الَّذِي قَالَ لِي سَوْفَ تَحْيَا مِئَاتِ السِّنِينْ .

تَوَهَّمْتُ أَنِّي مَلَكْتُ فَتَاةً ، وَكَانَتْ عَلَى ثِقَةٍ أَنَّهَا مَلَكَتْنِي ، فَأَخْبَرَنِي العِشْقُ : « إِنِّي غُمُوضٌ ، وَلَسْتُ أُوَاسِي النُّفُوسَ الَّتِي ضَعُفَتْ وَارْتَضَتْ أَنْ تَكُونَ لَدَيَّ أَسِيرَهْ .»

تَجَاهَلْتُهُ ، وَاخْتَلَيْتُ بِهَا . إِنَّ جِسْمِيَ لَا يَكْتَفِي ، وَمَفَاتِنُهَا حِيلَةٌ أَرْسَلَتْهَا المَقَادِيرُ حَتَّى تُضَلِّلَنِي ، فَإِذَا مَا خَرَجْتُ مِنَ اللَّيْلِ صَارَ النَّهَارُ يُعَانِدُنِي ، وَبِهِ الأَصْدِقَاءُ يَرَوْنَ بِوَجْهِيَ مَا قَدْ مَرَرْتُ بِهِ مِنْ ذُهُولْ .

تَلَاشَتْ فَتَاتِي ، وَكَانَ عَذَابِي يَطِيبُ لَهَا ... لَمْ أَكُنْ مُدْرِكًا أَنَّ نَفْسِي البَرِيئَةَ قَدْ جَعَلَتْنِي مَعَ التَّائِهِينْ .

صَدِيقٌ يُكَلِّمُنِي ضَاحِكًا : « إِنَّهَا الْآنَ عِنْدِيَ فِي غُرْفَةِ النَّوْمِ مَاكِثَةٌ فِي انْتِظَارِي ... لَدَيْهَا جَمَالٌ قَلِيلٌ فَكَيْفَ تَعَثَّرْتَ يَا صَاحِبِي ؟! إِنَّنِي لَا أُصَدِّقُ أَنَّكَ ذَاكَ الذَّكِيُّ الَّذِي كَانَ يَقْهَرُ مَا جَاءَهُ مِنْ لَيَالٍ حَزِينَهْ .»

نَعَمْ ... لَنْ أُلَامِسَهَا ... قُلْتُ : لَا ... لَنْ أُلَامِسَهَا . سَوْفَ تَخْرُجُ مِنْ دِفْءِ بَيْتِيَ بَعْدَ ثَوَانٍ إِلَى الطُّرُقَاتْ .

لَقَدْ أَخْبَرَتْنِي بِخُطَّتِهَا ... إِنَّهَا سَوْفَ تَزْدَادُ مَالًا مِنَ الْعَابِرِينَ عَلَيْهَا ، وَبَعْدَئِذٍ تَتَزَوَّجُ مِنْ غَافِلٍ مُتَبَرِّئَةً مِنْ شَيَاطِينِهَا ، وَهْيَ تَذْهَبُ نَحْوَ الْأُمُومَهْ .»

وَفِي لَحَظَاتٍ وَجَدْتُ أَمَامِيَ ظِلًّا يُكَلِّمُنِي ... إِنَّهُ صَوْتُهَا . آهِ أَسْمَعُهَا وَهْيَ تَفْتِكُ بِي : « إِنَّنِي حُرَّةٌ ... كُلُّ مَنْ رَاقَ لِي مِنْ شَبَابٍ تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ، وَسَافَحْتُهُ فَعَرَفْتُ عَجَائِبَ شَتَّى ... وَدَاعًا فَلَسْتَ الْوَحِيدَ الَّذِي أَشْعَلَ النَّارَ فِي جَسَدِي بِالَّذِي عِنْدَهُ من فُحُولَهْ .»

وَفِي لَحَظَاتٍ تَسَلَّلْتُ نَحْوَ خَلَاءٍ
يُطِلُّ عَلَى النَّهْرِ ... يَا نَهْرُ ، إِنِّي
أَمَامَكَ سَوْفَ أُطْفِئُ نَارَ انْتِقَامٍ
تُرَاوِدُ نَفْسِي ، وَأَرْضَى بِلَا نَدَمٍ
بِالهَزِيمَهْ .

وَقَالَ لِيَ الحُلْمُ : « إِنِّيَ عَاقَبْتُهَا ...
شَعْرُهَا صَارَ مِثْلَ الشُّعِيرَاتِ فِي
جَسَدِ الْعَنْكَبُوتْ .

وَهَا هِيَ تَمْسَخُهَا اللَّعَنَاتُ فَصَارَ
لَهَا جَسَدُ العَنْكَبُوتْ .

إِذَا اشْتَقْتَ يَوْمًا إِلَيْهَا فَأَنْتَ عَلِيمٌ
بِأَنَّ العَنَاكِبَ عَاشِقَةٌ لِاغْتِيَالِ
الذُّكُورْ .

وَأَنَّكَ فُزْتَ بِنَفْسِكَ حِينَ ارْتَضَيْتَ
الهَزِيمَهْ .»

المتصابي

لَقَدْ لَمَسَتْ كَتِفِي وَهْيَ تُخْبِرُنِي:
« إِنَّنِي لَا أَهِيمُ سِوَى بِالقِرَاءَهْ .»

ذَهَبْنَا مَعًا ، وَانْسَلَلْنَا إِلَى
نَدْوَةٍ كَانَ فِيهَا المُحَاضِرُ
يَحْيَا بِشَيْخُوخَةٍ دَاهَمَتْهُ بُعَيْدَ
الشَّبَابْ .

فَآثَرَ أَنْ يَتَصَابَى بِصِبْغَةِ شَعْرٍ ،
وَزِيٍّ يُبَاهِي بِأَلْوَانِهِ ... لَا تَسَامُحَ فِي
وَجْهِهِ ... إِنَّهُ المُتَمَكِّنُ مِنْ كُلِّ
شَيءٍ ، وَفِي صَوْتِهِ ثِقَةٌ وَصَرَامَهْ .

سَمِعْنَا لَهُ كَلِمَاتٍ بَدَتْ لِي طَلَاسِمَ ،
ثُمَّ تَمَادَى ، وَزَادَتْ حَمَاسَتُهُ حِينَ
حَدَّثَنَا عَنْ عباقِرَةِ اللَّارِوَايَهْ .

وُجُوهُ الحُضُورِ ادَّعَتْ أَنَّهَا فَهِمَتْ مَا يُقَالُ ، وَوَجْهِيَ أَعْلَنَ عَنْ قَرَفٍ ... هَا نُفُورٌ صَرِيحٌ سَرَى بَيْنَنَا ، وَالفَتَاةُ قَدِ انْصَرَفَتْ ... آهِ مَا كِدْتُ أَعْرِفُهَا ، وَالمَكَانُ تَزَايَدَتِ النَّاسُ فِيهِ فَمَا عَادَ غَيْرِي مِنَ الغُرَبَاءْ .

وَصَارَحْتُ نَفْسِي : أَنَا قَدْ جَنَحْتُ لِتِلْكَ الْفَتَاةِ ، وَحَاوَلْتُ أَنْ أَتَقَرَّبَ مِنْهَا ... بِهَذَا اسْتَمَعْتُ لَهَا فَذَهَبْنَا إِلَى المُتَصَابِي ... إِلَى مَنْ يَبِيعُ إِلي النَّاسِ بَعْضَ البَلَاهَهْ .

كَأَنَّ مَمَاتًا أَلَمَّ بِهِ وَهْوَ يَذْهَبُ نَحْوَ المَمَاتْ .

رَآنِي أَرَى مَا بِأَعْمَاقِهِ مِنْ شُرُورٍ ، وَمِنْ كَائِنَاتٍ مُخِيفَهْ .

وَقَالَ لِي الْحُلْمُ : « إِنَّ الْفَتَاةَ جَمِيلَهْ .»

القاتل المقتول

حَيَاتِي مُقَيَّدَةٌ بِالثَّوَانِي ، لِهَذَا تَخَفَّفْتُ مِنْ سَاعَتِي ، وَجَعَلْتُ الْأَمَاكِنَ حَوْلِي بِلَا زَمَنٍ ، فَرَجَعْتُ لِعَصْرِ الحِجَارَهْ .

عَصَايَ وَقُوَّةُ جِسْمِي حَمَتْنِي مِنَ المُعْتَدِينْ .

نَهَارٌ وَلَيْلٌ وَكَهْفٌ أَغُوصُ بِهِ ...
يَا لَهَا وَحْشَةً فَصَرَخْتُ فَجَاءَ إِلَيَّ صَدى ، فَصَرَخْتُ فَجَاءَ صَدى ، ثُمَّ قَهْقَهْتُ جَاءَ صَدى ... صَارَ خَوْفِيَ مُمتَزِجًا بِالكَثِيرِ مِنَ النَّشَوَاتْ .

ظَنَنْتُ بِأَنِّي أَتَيْتُ بِمُعْجِزَةٍ ... أَنَّنِي قَدْ خَلَقْتُ الصَّدَى ثُمَّ أَرْسَلْتُهُ لِغَيَاهِبَ مِنْ فَجَوَاتٍ عَمِيقَهْ .

وَلَـمَّـا دَعَـوْتُ قَـلِـيـلًا مِـنَ الأَصْـدِقَـاءِ
إِلَـى الْـكَـهْـفِ كُـنْـتُ فَـخُـورًا ... بَـدَأْنَـا
مُـحَـاوَرَةً فَـتَـصَـاعَـدَتِ الـكَـلِـمَـاتْ .

سَـمِـعْـنَـا هُـنَـا وَهُـنَـالِـكَ أَصْـدَاءَنَـا ...
آهِ إِنَّ الـصَّـدَى لَـيْـسَ مِـلْـكًـا لِـصَـوْتِـي ،
وَلَـسْـتُ أَنَـا صَـاحِـبَ الـمُـعْـجِـزَاتْ .

تَـبَـدَّى لَـنَـا الْـكَـهْـفُ لُـغْـزًا ، وَصَـارَ
الصَّـدَى أُمْـنِـيَـاتٍ تَـضِـيـعُ بِـأَنْـحَـائِـهِ ،
وَتَـصِـيـرُ خُـدُوشًـا تُـزَيِّـنُ بَـعْـضَ
الـصُّـخُـورْ .

وَهَـا نَـحْـنُ نَـمْـضِـي مِـنَ الـكَـهْـفِ
مُـتَّـحِـدِيـنْ .

سَنَغْزُو أُنَاسًا ضِعافًا يَظُنُّونَ
أَنَّ سُفُوحَ الجِبَالِ حَمَتْهُمْ ...
سَنَأْسِرُ بَعْضًا وَنَذْبَحُهُمْ ... سَوْفَ
نَبْقَى أَسَابِيعَ فِي تُخْمَةٍ وَسَكِينَهْ .

وَقَالَ لِي الحُلْمُ: « إِنَّ عَلَيْكَ الْهُرُوبَ
مِنَ الْهَمَجِ الْقُدَمَاءْ .»

فَلَمَّا صَحَوْتُ نَظَرْتُ إِلَى سَاعَتِي
فَاسْتَعَدْتُ وُجُودِي الَّذِي قَدْ ظَنَنْتُ
بِأَنِّي تَخَلَّصْتُ مِنْهُ ... بَدَأْتُ أُشَاهِدُ
فِي وَجَلٍ شَاشَةَ الْبَيْتِ ... إِنَّ الدَّمَارَ
يُحِيطُ أُلُوفًا مِنَ الأَبْرِيَاءْ .

مَذَابِحُ هَائِلَةٌ جَعَلَتْ هَامَتِي
تَتَضَاءَلُ شَيْئًا فَشَيْئًا إِلَى
أَنْ تَلَاشَيْتُ بَينَ دِمَاءِ النُّفُوسِ
الذَّبِيحَهْ .

يُعَذِّبُنِي أَنَّنِي لَا أُرِيدُ وَلَا أَسْتَطِيعُ التَّخَلُّصَ مِنْ نَارِ حِقْدِي عَلَى الظَّالِمِينْ .

كَأَنَّ المَقَادِيرَ صَارَتْ تُعَاقِبُنِي ...
أَوَلَسْتَ الَّذِي كَانَ فِي الحُلْمِ
مُغْتَبِطًا قَاتِلًا هَائِمًا فِي الخَلَاءِ
مَعَ الهَمَجِ القُدَمَاءْ ؟

تَوَغَّلْتُ فِي عُزْلَتِي ، وَأَنِسْتُ بِهَا
فَدَخَلْتُ إِلَى غَفْوَةٍ أَرْسَلَتْنِي
إِلَى غَفْوَةٍ ... يَا لَهُ أَرَقًا تَتَخَلَّلُهُ
الغَفَوَاتْ .

خَمَائِلُ تَمْتَدُّ نَحْوَ خَمَائِلَ قَدْ
ظَلَّلَتْنِي ... شَعَرْتُ وُجُودِي يُرِيدُ
التَّخَفِّي ... بِهَذَا تَحَوَّلْتُ فِي
لَحَظَاتٍ جُذُورًا قَدِ اتَّصَلَتْ بِجُذُورٍ
فَلَمْ أَتَأَفَّفْ ، فَكُلُّ الجُذُورِ عَطَاءْ .

رَضِيتُ بِكَوْنِي حَيَاةً لَدَى الظُّلْمَةِ
الْأَبَدِيَّةِ ، أَرْضَى بِمَا أَتَنَفَّسُهُ مِنْ
فُتَاتِ الهَوَاءْ .

رَضِيتُ بِكَوْنِيَ وَعْيًا تَسَلَّلَ عَبْرَ
التُّرَابْ .

تَدَاخَلْتُ بِالأَرْضِ حَتَّى شَعَرْتُ بِأَنِّي
أَبٌ لِلْغُصُونْ .

إِذَا جَاءَنِي المَاءُ أَرْسَلْتُهُ لِلْغُصُونْ .

أَرَانِي انْضَمَمْتُ لِسِرِّ الحَيَاهْ .

فَأَخْبَرَنِي شَجَرٌ كَانَ مُتَّصِلًا
بِمَصِيرِيَ : لَسْنَا بِسِرٍّ فَنَحْنُ
الحَيَاهْ .

وَنَحْنُ مَشَاعِرُ تَنْسَابُ فِي
كُلِّ صَوْبٍ ، وَلَيْسَتْ تَخَافُ قُدُومَ
الرُّعُودْ .

يُحِيطُ بِنَا شَغَفٌ تَتَغَيَّرُ أَحْوَالُهُ
بِاخْتِلَافِ الفُصُولْ .

نَلُوحُ لِبَعْضِ الْعُيُونِ انْسِيَابًا
خِلَالَ المَسَافَاتِ ... نَحْنُ مَعَانٍ قَدِ
انْدَمَجَتْ بِالنَّدَى ، وَالنُّفُوسُ تَرَى
أَنَّنَا كَرَمٌ وَوُعُودْ .

يُبَارِكُنَا النُّورُ وَقْتَ انْتِشَارِ
الزُّهُورْ .

وَمَا بَيْنَنَا يُشْبِهُ الْهَمَسَاتِ الَّتِي لَيْسَ يَسْمَعُهَا أَحَدٌ ، وَرَوَائِحُنَا مَنْبَعُ النَّغَمَاتْ .

مِئَاتُ الدُّهُورِ تَمُرُّ عَلَيْنَا وَنَحْنُ اكْتِمَالٌ مَعَ الْكَائِنَاتْ .

تَمُرُّ عَلَيْنَا وَلَمْ نَتَسَاءَلْ لِمَاذَا تَجِيءُ إِلَيْنَا الطُّيُورْ .

إِذَا مَا انْتَهَيْنَا انْتَهَى كُلُّ مَا فِي الْوُجُودْ .

فَقَالَ لِي الْحُلْمُ : « إِنَّكَ تَحْظَى بِبَعْضِ الْخِصَالِ الَّتِي فِي الْجُذُورْ .

وَأَخْشَى إِذَا مَا أَطَلْتَ الْبَقَاءَ هُنَاكَ فَسَوْفَ يَجِيءُ إِلَيْكَ حَنِينٌ لِدُنْيَا الْمَمَاتْ .»

رحلة المخدوع

تَسَلَّلَ لِي هَاجِسٌ أَنَّ بَعْضَ الكِتَابَاتِ يُمْكِنُهَا أَنْ تُغافِلَ قَارِئَهَا ، وَتُضَلِّلَهُ ... إِنَّهَا كُتُبٌ تَتَنَاثَرُ فِيهَا الخِيَانَهْ .

أُلُوفٌ مِنَ الصَّفَحَاتِ الَّتِي أَبْهَرَتْنِي قَدِيمًا أَرَاهَا أَمَامِي مَعَارِفَ زَائِفَةً ، ثُمَّ لَمَّا دَخَلْتُ إِلَى الحُلْمِ حَوَّلَهَا فِي ثَوَانٍ إِلَى مِزَقٍ تَتَنَاثَرُ حَوْلِيَ فِي غُرْفَتِي ، وَأَنَا مَاكِثٌ فِي ذُهُولِيَ ظِلاًّ وَحَوْلِي ظِلَالْ .

فَقُلْتُ لَهُ شَاكِيًا : إِنَّ تِلْكَ الْكِتَابَاتِ كَانَتْ لِذَاتِيَ بَيْتًا ، فَقَالَ: « وَهَا أَنْتَ تَتْرُكُهَا ... أَنْتَ لَمْ تَسْتَفِدْ غَيْرَ بَعْضٍ مِنَ الْكَلِمَاتْ .»

سُطُورٌ سُطُورٌ ... إِذَا مَا نَظَرْتَ إِلَيْهَا رَأَيْتَ الْحُرُوفَ تَطِيرُ هُنَا وَهُنَالِكَ ضَائِعَةً ، ثُمَّ تَهْبِطُ نَحْوَ الثَّرَى كَوْمَةً مِنْ رَمَادْ .»

تَـأَمَّـلْـــتُ وَجْـهِـــي ... كَـأَنِّـــيَ مُـتَّـهَـــمٌ
بِـالـذَّهَـــابِ إِلَـــى كُـتُـــبٍ تَـتَـرَاءَى لِـيَ الْآنَ
بَـعْـضَ الشُّـخُـوصِ الْـغَـرِيبَـهْ .

شَـعَـرْتُ بِـأَنِّـــيَ حَـارَبْـتُـهَـا بِـالـنَّـقَـــاءِ
الَّـذِي لَـمْ يُـغَـادِرْ ضَـمِـيرِيَ يَـوْمًـا ، فَـلَـمْ
أَتَـلَـوَّثْ بِـمَـا مَـرَّ بِـي مِـنْ أَبَـاطِـيلِـهَـا ...
كُـنْـتُ أُصْـغِـي لِـنَـفْـسِـيَ دُونَ سِـوَاهَـا
إِذَا مَـا أَتَـتْـنِـي الكِـتَـابَـهْ .

أَنَـا الْـمُـخْـلِـصُ الْأَبَـدِيُّ إِذَا مَـا أَتَـتْـنِـي
الكِـتَـابَـهْ .

وَلَا أَتَـذَكَّـــرُ أَنِّـــي زَهَـــوْتُ بِـنَـفْـسِـــي وَلَـوْ
سَـاعَـةً ، بَـيْـنَـمَـا أَتَـذَكَّـرُ أَنَّ الكِـتَـابَـةَ
كَـانَـــتْ يَـنَـابِـيـعَ تُـنْـقِـــذُنِـــي وَأَنَـا فـي
الـعَـرَاءْ .

مِئَاتُ الرِّوَايَاتِ مَرَّتْ عَلَيَّ وَغَابَتْ ...
إِذَا مَا رَجَعْتُ لِأَجْوَائِهَا سَاءَنِي مَلَلٌ
يَتَسَلَّلُ فِي الصَّفَحَاتْ .

وَقَالَ لِي الْحُلْمُ : « تِلْكَ الرِّوَايَاتُ
لَابُدَّ أَنْ تَتَبَرَّأَ مِمَّا أَلَمَّ بِهَا مِنْ
أُنَاسٍ قَدِ اسْتَغْرَقُوا فِي التَّسَكُّعِ
وَالثَّرْثَرَاتْ .

وَحِينَئِذٍ قَدْ نَرَى مَا بِهَا مِنْ
لَيَالٍ ... لَيَالٍ يَشُعُّ وَمِيضُ النُّفُوسِ
بِأَنْحَائِهَا ... قَدْ نُحِسُّ جَسَارَةَ مَنْ
كَتَبُوهَا وَهُمْ يَجْعَلُونَ مِنَ
الظَّالِمِينَ مُسُوخًا تُحَاوِلُ أَنْ
تَتَسَوَّلَ بَعْضَ الْمَهَابَهْ .»

فَقُلْتُ هُنَالِكَ بَعْضُ الرِّوَايَاتِ
لَا تَسْتَسِيغُ الدُّخُولَ خِلَالَ تَفَاصِيلَ
تَبْدُو بِغَيْرِ انْتِهَاءْ .

تَـخَـلَّــتْ عَــنِ الــلَّــغْــوِ رَاضِــيَــةً ،
وَاسْـتَـجَـابَـتْ لِـسِـحْـرِ الـرُّؤَى فَـاخْـتَـفَى
مَـا أَحَـاطَ بِـأَجْـوَائِـهَـا مِـنْ هَـبَـاءْ .

وَهَــا هِــيَ تَـنْـسَـابُ نَـحْــوَ الـتَّـفَـاعِـيـلِ
هَـارِبَـةً مُـتَـنَـكِّـرَةً فِـي قَـصَـائِـدَ تَـجْـعَـلُ
كُــلَّ الـنُّــفُــوسِ الَّـتِــي فِــي حِـمَـاهَــا
تُـسَـافِـرُ فِـي الـنَّـغَـمَـاتْ .

المحتـــــوى

افتتاحية	3
مصابيح تبدو قريبة	13
الخُطُوات الأخيرة	23
المُستجير بالماء	33
نجاة الغافل	43
نظرية المرايا	55
صديق الذئاب	63
صيف قديم	71
حفاوةٌ بلا حدود	81
أنوار ذاك العماء	91
التي قد تمادت	99
فرويد	103
المهزوم	107
المتصابي	115
القاتل المقتول	121
مع الأوفياء	129
رحلة المخدوع	137

أعمال الشاعر عادل عزت

	تاريخ الطبعة الأولى
1- المتصوفون الشعراء في الزمن العصيب	1983
2- اختباء النور	1988
3- العرب القدماء	1990
4- هواجس الشاعر المقتول	1990
5- السبعة	2000
6- ظلام المرسم	2006
7- البيت المسكون	2009
8- قصائد الفاني الأبدي	2010
9- الهجرة بعيداً عن عواصف الحجاز	2011
10- أعوام من الإسراء	2012
11- بعض الملامح	2015
12- ساحل قريب	2017
13- الملحن	2021
14- صاحب الرؤى	2023
15- أحلام الفاني	2025

لمراسلة الشاعر

adelezzat2@gmail.com